﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ٥١﴾ [النِّساء: 51]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بيان نوعٍ من أنواعِ مَكْرِ اليهود في مدح المشركين، بعد التَّعجيب من مَذْهِبِهِمْ لأَنْفُسِهِمْ

لَمَّا عَجَّبَ اللّه تعالى من مَدْحِ اليَهودِ لأَنْفُسِهِم وافترائهم على اللّه الكذب؛ حَكَى عنهم نوعًا آخَرَ من المَكْرِ، وهو أنَّهم كانوا يُفَضِّلُونَ عَبَدَة الأصنام على المؤمنين، ولا شَكَّ أنَّهم كانوا عَالِمِينَ بأنَّ ذلك باطل، فكان إقدامهم على هذا القَوْلِ لِمَحْضِ العناد والتَّعَصُّبِ، فَأُعيدَ التَّعْجيبُ من اليهود الَّذين أُوتوا نَصيبًا من الكتاب، بما هُوَ أعجب من حالهم الَّتي مَرّ ذِكْرُها، فَلَمَّا عَجَّبَ من كذبِهِمْ؛ دلَّ عليه بقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِٱلۡجِبۡتِ﴾: الجِبتُ يُفَسَّرُ بالصَّنم والكاهن والسَّاحر، وأَصْلُ الجِبْتِ: الجِبْسُ، وهو الذي لا خَيْرَ فيه، فأُبْدِلَتِ التَّاء من السِّين، وهذا لَيْسَ من مَحْضِ العَربيَّة، لاجتماع الجيم والتَّاء في كلمةٍ واحدة، وهو كُلُّ ما عُبد من دون اللّه، فالجبت: كَلِمَةٌ تَقَعُ على الصَّنَم والكاهن والسَّاحِر، والذي لا خير فيه، وكلُّ ما عُبِدَ من دُونِ اللّه تَعالى[2].

2) ﴿وَٱلطَّٰغُوتِ﴾: كُلُّ مَعْبودٍ مِنْ حَجَرٍ أو صُورَةٍ أو شيطان، يُقالُ: طَغَيْتَ طُغْيانًا، وأَصْلُ الطُّغْيانِ: مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ في الْعِصْيَانِ، والطَّاغوت من الْإِنْس وَالْجِنِّ: شَياطِينُهم، وكلُّ رأْس ضَلالٍ صارِفٍ

(1) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/103، والبِقاعيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 2/267، وابْنُ عاشور، التَّحريرُ والتَّنْوير: 4/155.
(2) الخليل، العَينْ: (باب الجيم والتاء والباء)، والرَّاغِب، المُفْرَدات، والسَّمين، وعُمْدَةُ الحُفَّاظ، وابْنُ فارِس، مَقاييسُ اللُّغَة، وتاج العروس، والمعجم الاشتقاقي: (جبت).

عَن طريقِ الخيْرِ، وجُمَّاع مَعْنَى الطَّاغوت: أنَّهُ كُلُّ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ[1].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

التَّعجيب من حال اليهود المادحين لأهل الشِّرك والضلال الذَّامِّين لأهل التَّوحيد والحقِّ

المعنى: ألم تَعْلَمْ - أيها الرسول ﷺ - وتَتَعَجَّبْ من حال اليهود الذين آتاهُمُ اللهُ حَظًّا من عِلْمِ الكتاب، يُصَدِّقون بكلِّ ما يُعبدُ من دون اللهِ من الأَصْنام وشَياطِينِ الإنس والجنِّ، ويَقُولون مُصانَعَةً لِلْمُشْرِكِينَ: إِنَّهُمْ أَعْدَلُ وأقوم طَريقًا من أولئك الَّذين آمنوا[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

سِرُّ المشاكلة في الآية:

التَّأكيدُ القَوِيُّ على تَأَصُّلِ الكُفْرِ في قُلوبِهِمْ

في قَوْلُهُ تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ مشاكلةٌ[3] لقوله تعالى: ﴿أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ لأنَّ إيتاءهم ذلك يَدُلُّ على إيمانهم باللهِ، ولَكِنَّ إيمانَهُمْ بِالجِبْتِ والطَّاغوت دلَّ على كُفْرِهِمْ باللهِ ﷻ، فكانت المُشاكلةُ هنا تَقْديريَّةً؛ لأنَّ الكلمة المُسْتَعْمَلَةَ شاكلَتْ نَقيضَ الكلمة الأولى، وفي وصفهم بالإيمان ﴿بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ تَأكيدٌ قَوِيٌّ على تَأَصُّلِ الكُفْرِ في قُلوبِهِمْ[4].

ومعنى الإيمانِ بِهِمَا: إمَّا التَّصديق بأنَّهما آلهة، وإِشْراكُهمَا بالعِبادَةِ مع اللهِ تعالى، وإمَّا طاعَتُهُمَا وموافقتهما على ما هُمَا عليه من الباطل، وإمَّا القَدْرُ المُشْتَرَكُ بَيْنَ المعنيين كالتَّعْظيم مَثَلًا،

---

(1) الرَّاغِب، المُفْرَدات، والسَّمين، عُمْدَةُ الحُفَّاظ، وتاج العروس: (طغو)، وابْنُ فارِس، مَقاييسُ اللُّغَة: (طغى)، وابْنُ قُتَيْبَة، غَريبُ القُرْآن، ص: 128، والسجستانيّ، غَريبُ القُرْآن، ص: 316، وابن قيِّم الجوزيَّة، إعلام الموقعين: 1/40.

(2) لَجْنَةٌ مِنْ عُلَماءِ الأَزْهَر، المُنْتَخَبُ في تَفْسيرِ القُرآنِ الكَريم، ص: 117، ونُخْبَةٌ مِنْ أَساتِذَةِ التَّفْسير، التَّفْسيرُ المُيَسَّر، ص: 86، وجَماعَةٌ مِنْ عُلَماءِ التَّفْسير، المُخْتَصَرُ في تَفْسيرِ القُرْآنِ الكَريم، ص: 86.

(3) المُشاكلة: هي أن يُذْكَرَ الشيَّءُ بلفظ غَيْرِه، لوقوعه في صحبته تَحقيقًا أو تَقْديرًا، فَيَعْمَدُ المتكلِّم إلى معنى غير موجود، فَيُقَدِّرُهُ موجودًا من جنس معنًى قابَلَهُ به مقابلة الجَزاءِ أو العِوَض، ولو تَقْديرًا، مِثالُ اللَّفظيَّةِ قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثْلُهَاۖ﴾ [الشورى: 40]، إذِ الجَزاءُ على السَّيِّئَةِ لَيْسَ بِسَيِّئَةٍ في الحقيقة، لكنَّه سُمِّي: سَيِّئَةً لِلْمُشاكَلَةِ اللَّفْظيَّة، ومِثالُ التَّقديريَّةِ قوله تعالى: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 138]، والمعنى: "تَطْهيرُ الله"، لأنَّ الإيمانَ يُطَهِّرُ النُّفوس، ينظر: الصَّعيديّ، بغْيَةُ الإيضاح: 4/588، والهاشميّ، جواهر البلاغة، ص: 309، وابن عاشور، موجَزُ البلاغة، ص: 41.

(4) خَديجة بناني، سورَةُ النِّساءِ دِراسَةٌ بَلاغيَّةٌ تَحليليَّة: 2/506.

والمُتبادِرُ المَعْنى الأوَّلُ، أي: إنَّهمْ يُصَدِّقُونَ بأُلوهِيَّةِ هَذَيْنِ الباطلين، ويُشْرِكُونَهُمَا في العبادة مَعَ الإلَهِ الحَقِّ، ويَسْجُدُونَ لَهُمَا[1].

علّة التذكير بإيتاء نصيب من الكتاب:

في التذكير تقبيح للفعل، وتعظيم للذنب

ذكرهم تعالى بإيتاء نصيب من الكتاب تقبيحًا لفعلهم، فمن جحد الحق مع معرفته به فهو أقبح فعلًا، وأعظم مأثمًا، وأكبر ذنبًا[2].

دلالة الاستئناف بعد وصفهم بإيتاء نصيب من الكتاب:

في الاستئناف تعجّبٌ من حالهم الثّانية المُنافية لِلازمِ الحال الأُوْلى

قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ استئنافٌ مُبينٌ لمادّة التعجّب، "وكأنَّه تعجُّبٌ مِنْ حَالِهم؛ إذْ كَانَ يَنْبَغِي لِمَنْ أوتِيَ نَصيبًا من الكتاب؛ ألَّا يَفْعَلَ شَيْئًا مِمَّا ذُكِرَ، فَيكُونُ جوابًا لِسُؤالٍ مُقَدَّرٍ، كأنَّهُ قيلَ: ألا تَعْجَبُ مِنْ حَالِ الذين أوتُوا نَصِيبًا من الكتاب؟ فقيل: وما حالُهم؟ فقالَ: يؤمِنُون، ويقولونَ، وهذان منافيان لحالهم"[3].

توجيه المتشابه اللفظي:

تفريق الخطاب بمقتضى الكتاب الذي نُزّل على رسولهم، أو ذكر حقيقة أمرهم

عبّر هنا بأنهم أوتوا نصيبا من الكتاب، بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وخاطبهم في الآية (47) بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾؛ "وذلك لأنهم أنزلت عليهم كتب الرسالة الأولى لنبيهم، فبمقتضاها يدعوهم إلى الإيمان، ولذا عبّر بالكتاب كله لَا ببعضه، فهم في هذا المقام يخاطبون بمقتضى الكتاب الذي نُزّل على رسولهم. أما هنا فيذكر حقيقة أمرهم، وهو أنهم نسوا حظًا مما ذُكِّرُوا به. ومن جهة أخرى فإن نيلهم أقل قدر من علم الكتاب يتنافى مع إيمانهم بأتفه الأوهام، وإيمانهم بالظلم والطغيان، واعتبارهما سبيلًا للعيش في الحياة، فهم ظالمون يرضون بالظلم يقع عليهم، ويتنافى علم

(1) ابن جرير، جامع البيان،: 8/465، وأبو حيّان، البحر المحيط: 3/283، والآلوسّي، روحُ المعاني: 5/56.
(2) الراغب، تفسير الراغب: 3/1273.
(3) ابْنُ عادِل، اللُّبابُ في عُلومِ الكِتاب: 6/421.

الكتاب مع ممالأتهم لعبدة الأوثان على أهل التوحيد، فيقولون في المشركين هؤلاء أهدى طريقًا من المؤمنين"[1].

دلالة اللَّام في قوله: ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، أي: لِأَجْلِهِمْ وفي حَقِّهِمْ، فيقولون في حقِّ الكفَّار: كيت وكيت[2]، فاللَّامُ لَيْسَتْ صِلَةَ القَوْلِ، وإلَّا لَقيلَ: أَنْتُمْ، بَدَلَ قوله سُبْحانَهُ: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾، أي: الكُفَّار من أَهْلِ مَكَّةَ[3]. واللَّام معناها: (عن)، لكنَّها - لما تشي به من معنى: المصانعة في مواجهة المعنيِّين بالتّفضيل عندهم، وهم المشركون - كانت أطبق وأصدق وأوفق.

بيان قولهم ومدحهم لمن شابههم في الكفر والجحود

سرُّ مجيء الخبر بصيغةِ أفعلِ التَّفضيل:

قوله تعالى: ﴿أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾، أي: أَقْوَم دِيْنًا وأَرْشَدُ طريقًا، والظَّاهِرُ أَنَّهُمْ أطلقوا أفعل التَّفْضيل، ولم يَلْحَظُوا معنى التَّشْريكِ فيه، أَوْ قالوا ذَلِكَ على سبيلِ الاسْتِهزاءِ؛ لِكُفْرِهِمْ، وإيرادُ النَّبيِّ ﷺ وأتباعه بعنوان الإيمان هنا لَيْسَ من قِبَلِ القائلين، بَلْ من جِهَةِ الله تعالى؛ تَعْريفًا لهم بالوصف الجَميلِ، وتَخْطِئَةً لِمَنْ رَجَّحَ عَلَيْهِم أهل الكُفْرِ المَتّصِفينَ بَأَشْنَعِ القَبائِحِ[4]، وتنصيلاً لغيرهم من القائلين والمقول لهم من الإيمان بالكلِّيَّة؛ إذ هم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ومن ليس منهم؛ فليس بمؤمن قطعًا.

بيان شِدَّةِ حَسَدِ اليهود وكثرة استهزائهم بالمؤمنين

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الطاغوت والجبت:

الجبت: يُطْلَقُ على الصَّنم والكاهن والسَّاحر، والَّذي لا خير فيه، وكلُّ ما عُبِدَ من دون اللّه تعالى، فصرف العبادة له من الإيمان

الطَّاغوت أعمُّ من الجِبت، وفيه زيادة معنى مُجاوزَةِ الحَدِّ

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/1713 - 1714.
(2) المُنْتَجَبُ الهَمَذاني، الكتابُ الفريد: 2/283.
(3) الآلوسّي، روحُ المعاني: 5/56.
(4) الآلوسّي، روحُ المعاني: 5/56.

بالجبت والطَّاغوت، فالمعنى الجامع لِلَفْظِ (الجبت): هو الدَّجَلُ والأَوهام والخُرافات[1]، والهَوى الَّذي يَفيضُ من عقل مُظْلِم وَوِجْدانٍ سَقيم[2]، فالإيمان بالجبت هو الإيمان بالباطل، والطَّاغوت هو المعبود بالباطل، وهو الشَّيطان، كما قال تعالى: ﴿۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١﴾ [يس: 60 - 61].

والطَّاغوت: جاء في القرآن ثَمانيَ مرَّات؛ تَرْغيبًا في الكفر به والإيمان بالله، أو تَنْديدًا بالإيمان به، مِثْل: قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: 256]، أو تَنْديدًا بالقتال في سبيله، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النِّساء: 76]، أو على التَّحاكم إليه مرَّة أيضًا: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النِّساء: 60]، فَهُوَ كُلُّ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ[3]، وهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الطُّغْيَانِ، وَهُوَ الْإِسْرَافُ فِي الْمَعْصِيَةِ، فَكُلُّ مَنْ دَعَا إِلَى الْمَعَاصِي الْكِبَارِ؛ لَزِمَهُ هَذَا الِاسْمُ[4]، فالطَّاغوت من هذه الجِهَةِ أَعَمُّ في المعنى، وفيه معنى مُجاوزةٍ لِلْحَدِّ في اللَّفْظِ.

ولهذا جاء في النَّظم الكريم في الذِّكر الحكيم مرتَّبًا هذا التَّرتيب البديع التَّصاعدي المشعر بتوغُّلهم في الشَّرّ، فالإيمان بالجبت كان استدراجًا، ومقدِّمة لإيمانهم بالطَّاغوت، وهو مردُّ كلِّ الشُّرور الَّتي تصدر عنهم، وتندُّ منهم من كفر متمرّد وعتوٍّ متجدّد متصلِّد: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝٥٢﴾ [النِّساء: 52].

(1) المَراغيّ، تَفْسيرُ المَراغيّ: 5/62.
(2) الخطيب، التفسير القرآنيُّ للقرآن: 3/814.
(3) ابن القيِّم، إعلام الموقِّعين: 1/40.
(4) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/101.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 7 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-59-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 7 : سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-59-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»